الصورة التشخيصية في قصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي
(دراسة فنية)

محمد عبد الرحمن محمد سيد*
mam07@fayoum.edu.eg

ملخص

يحاول هذا البحث دراسة أحد أنماط الصورة الفنية في قصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي، وهي الصورة التشخيصية، حيث يمثل التشخيص أحد الظواهر الفنية في النص الأدبي التي تمنحه تميزا جمالا، فضلا عن كون التشخيص أحد الميزات التصويرية التي تمكن القارئ من التفاعل من النص الأدبي بعمق وتركيز.

وقد ظهرت الصورة التشخيصية بكثافة في هذه القصيدة، ويرجع ذلك لكونه أحد شعراء الرومانسية الذين اهتموا بإعلاء العاطفة والخيال في شعرهم؛ لذلك هدف البحث إلى دراسة الصورة التشخيصية في قصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي (دراسة فنية) للتعرف على أسلوب تشكلها، وما أضافته على البناء الفني للقصيدة، ومدى قدرتها على التعبير عن مكنونات الشاعر الفكرية والعاطفية، وأثرها في المتلقي.

وقد اعتمدت الدراسة في هذا البحث على المنهج الفني القائم على الوصف والتحليل الفني للظاهرة، لإبراز جمالياتها وفائدتها للنص، وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين ثم الخاتمة يليها النتائج التي توصل إليها البحث، وكان من أهمها: أن التشخيص في قصيدة الأطلال كشف عن براعة إبراهيم ناجي في رسم صوره للتعبير عن مشاعره ومكنونات نفسه، كما كان للتشخيص وظيفة تأثيرية في المتلقي من خلال إثارة ذهنه ومخالفة التوقع لديه، مما أسهم في اندماجه مع النص وتأثره إيجابيا بما جاء فيه من مشاعر وأفكار. وقد لجأ الشاعر إلى أساليب لغوية عضدت من التشخيص وأبرزته منها أسلوب النداء وأسلوب الحوار.

الكلمات المفتاحية: التشخيص – قصيدة الأطلال – الصورة الفنية

* مدرس البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية دار العلوم- جامعة الفيوم

مقدمة:

تعد الصورة الشعرية واحدة من الأساليب الخاصة في التعبير عن مكنون الفكر؛ فهي واحدة من أوجه الدلالة على المعاني، بل تتعدى ذلك إلى التعبير عن العاطفة والمشاعر. وتكمن أهميتها فيما تحدثه من خصوصية وتأثير في المعنى المراد إيصاله للمتلقي، والصورة تكتسب جمالياتها من قدرة المبدع على ابتكارها وصياغتها، وقدرتها على إثارة المتلقي ودهشته.

ومن الصور الشعرية تظهر الصورة التشخيصية التي تعتمد على إكساب كل ما هو غير بشري صفات بشرية تمنح من خلالها النص الشعري حيوية، وتعمل على تكثيف الدلالة، وإثارة المتلقي من خلال مخالفة توقعه، فالصورة التشخيصية تتيح للمتلقي الاندماج والتفاعل في النص الشعري، كما تسهم في إظهار عاطفة الشاعر ونظرته لكل ما يحاط به من موجودات أو معنويات.

وقد ظهرت الصورة التشخيصية بكثافة في قصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي، لكونه أحد شعراء الرومانسية الذين اهتموا بإعلاء العاطفة والخيال في شعرهم؛ لذلك هدف البحث إلى دراسة الصورة التشخيصية في قصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي للتعرف على أسلوب تشكلها، وما أضافته على البناء الفني للقصيدة، ومدى قدرتها على التعبير عن مكنونات الشاعر الفكرية والعاطفية، وأثرها في المتلقي.

وقد اعتمدت الدراسة في هذا البحث على المنهج الفني القائم على الوصف والتحليل الفني للظاهرة، لإبراز جمالياتها وفائدتها للنص، وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين ثم الخاتمة يليها النتائج التي توصل إليها البحث، وكان من أهمها: أن التشخيص في قصيدة الأطلال كشف عن براعة إبراهيم ناجي في رسم صوره للتعبير عن مشاعره ومكنونات نفسه، كما كان للتشخيص وظيفة تأثيرية في المتلقي من خلال إثارة ذهنه ومخالفة التوقع لديه، مما أسهم في اندماجه مع النص وتأثره إيجابيا بما جاء فيه من مشاعر وأفكار. وقد لجأ

الشاعر إلى أساليب لغوية عضدت من التشخيص وأبرزته منها أسلوب النداء وأسلوب الحوار.

التمهيد:

أ – الصورة الفنية والتشخيص

إن النص الأدبي ما هو إلا ترجمة لغوية حية لفكرة وعاطفة، فهو انعكاس لواقع نفسي وشعوري يمر به الأديب، كما أنه موجه إلى القارئ الذي يستشرف معانيه ودلالاته ويحاول فك شفراته، فالنص المتميز هو المعبر عن الأديب والمؤثر في المتلقي، والشعر بوصفه نصا أدبيا تجتمع فيه مجموعة من العناصر منها اللغة وصياغتها، والصورة وفنيتها، والإيقاع ودوره في إبداع دلالات جديدة، وكل هذه العناصر تتشارك مع العاطفة والخيال لتنتج نصا شعريا متميزا.

وتمثل الصورة "الشيء الثابت فى الشعر كله، وكل قصيدة إنما هي فى ذاتها صورة"(١)، فهي "أداة من الأدوات الفنية التي يجسد بها الشاعر رؤيته الشعرية الخالصة، ويحدد بها أبعادها وتخومها"(٢)، ولابد من التأكيد أن الصورة الشعرية "ليست حُلى زائفة بل إنها جوهر فن الشعر، فهي التي تحرر الطاقة الشعرية الكامنة فى العالم"(٣)، "غير أن الصورة الشعرية ليست فقط طريقة تعبيرية، بل إنها أيضا طريق في التفكير"(٤)؛ حيث تكشف بوضوح وعي الشاعر بتجربته وفكرته، وتُظهر ثقافته وكثرة اطلاعه ووفرة مصادره، كما تكشف الصورة

(١) س.داي.لويس، طبيعة الصورة الشعرية، مقال مترجم ضمن كتاب، اللغة الفنية، تعريب وتقديم، محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م، ص٤٥

(٢) على عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الشباب، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٥، ص١١١

(٣) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٣م، ص٢٣٨

(٤) ياسين عساف، الصورة الشعرية، وجهات نظر عربية وغربية، دار مارون عبود، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م، ص١١٦

قدرة الشاعر على سيطرته على لغته الفنية، والثراء المعجمي لديه، ومدى اعتماده على الإمكانات اللغوية والتجاوزات التي تمنحها له اللغة، فضلا عن تميزه في ابتكار تأويلات جديدة للتراكيب اللغوية الكاشفة عن الحالة النفسية والشعورية لديه، وبناء على ذلك تكون قوة الصورة وجودتها نابعة من صدق تجربة الشاعر، وتمكنه من لغته فضلا عن القدرة التأثيرية في المتلقي.

والتشخيص في معناه اللغوي[١] تنحصر دلالته في الارتفاع والظهور، و"تشخيص مفرد، ج تشخيصات، وتشاخيص، إبراز المعنى المجرد أو الشيء الجامد كأنه شخص ذو حياة"[٢]، والملاحظ أن مصطلح (التشخيص) لغويا لم يرد في المعاجم القديمة؛ وفي ذلك دلالة على حداثته.

أما التشخيص اصطلاحا فهو مصطلح حديث[٣] يعني "إسباغ الحياة الإنسانية على من لا حياة له، كالأشياء الجامدة والكائنات المادية غير الحية"[٤]، وهو "تعبير بلاغي يسبغ فيه على التجريدات والحيوانات والمعاني

(١) التشخيص لغة من الأصل اللغوي (ش خ ص) وقد ورد في لسان العرب أن الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، وهو سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، والتشخيص: العظيم الشخص، وشَخَص بالفتح شخُوصا: ارتفع، والشخوص ضد الهبوط، ... وشخص بصر فلان فهو شاخص: إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف، وشخوص البصر ارتفاع الأجفان، وشخصت الكلمة في الفم تشخص إذا لم يقدر على خفض صوته بها انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج ٧، مادة ش خ ص ، ص ٤٥ – ٤٦

(٢)أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٨م ص١١٧٤

(٣) انظر: محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م، هامش ص ١٢٦

(٤) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٩م، ص ٦٧

والأشياء غير الحية شكلا وشخصية وسمات انفعالية إنسانية"[١]، وفي ذلك إشارة لكونه أحد الأساليب البلاغية التي يستخدمها المبدع لأنسنة الموجودات، والصورة التشخيصية هي أحد الأنماط التصويرية التي تتكون من "صورة حسية في كلمات استعارية إلى درجة ما في سياقها نغمة خفيضة من العاطفة الإنسانية، ولكنها أيضا شُحِنت منطلقة إلى القارئ عاطفة شعرية خالصة أو انفعالا"[٢] فهي صورة تقوم على منح الحياة للجمادات، ويستخدمها المبدع لترجمة عاطفته وانفعالاته، إضافة لسيطرتها على ذهن المتقى واستثارته، وإذا أخذنا في الاعتبار أن غاية المبدع في شعره "هي إنتاج الجمال، الجمال في الطباع، أو الجمال في الأشياء ... وفي كلتا الحالتين يقوم الفن على الاختيار"[٣]، فإن الصورة التشخيصية تمثل اختيارا للمبدع يستخدمه ضمن الأساليب المنتجة للجمال في النص الأدبي، ومن خلاله تتحقق شعرية النص الأدبي.

وعن جماليات التشخيص وفائدته للنص الأدبي فهو حالة تعبيرية خيالية تهدف إلى خلق واقع افتراضي يعيش فيه الشاعر بخياله ليستعيض به عن واقعه المهزوم، ويستعيض به عن الأشخاص الحقيقية؛ فهو هو عملية يتم فيها التوافق بين مكوناتها لتتحدث بطلاقة عن تجربته الشاعر، وتنقل مشاعره ورؤيته تجاه الموجودات حوله، لذلك لا يمكن اختزالها في كونها مجرد صورة استعارية، فهي أكثر تعقيدا لما لها من تأويلات مختلفة ناتجة عن نظرة الأديب لواقعه، ومعالجته للأشياء من حوله، فكل تشخيص هو نتاج تجربة وجدانية خاصة للمبدع ذاته.

---

(١) إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ١٩٨٦م، ص٨٥

(٢) محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص٣٢

(٣) فيليب فان تيغم، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ترجمة: فيليب أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، ص ١٩٢

ويضيف التشخيص إلى النص الشعري – خاصة – مجموعة من الجماليات التي تُكسبه الشعرية؛ كونه يجمع في طياته الكثير من الجماليات؛ ففيه "قدرة على التكثيف والاقتصاد والإيجاز"(١)، فمن خلال التشخيص يستطيع الشاعر التعبير عن الكثير من الأفكار والمشاعر الدفينة بصورة موجزة، وذلك يسهم في فتح أفق التوقع لدى القارئ محاولا الكشف عن الهدف من التشخيص ودلالاته، وبذلك يمنح التشخيص النص حيوية وانفتاحا.

ويعد التشخيص بوصفه صورة فنية مجازا حيث تخرج الألفاظ من دلالتها الحقيقية إلى دلالات مجازية، فالصورة بذلك تكون"عبور من اللغة الإشارية إلى اللغة الإيحائية، عبور تم من خلال استدارة كلام فقد معناه في المستوى الأول لكي يعبر عليه في المستوى الثاني"(٢)، وهذا المجاز يخلق متعة خيالية، أضف إلى ذلك المبالغة في الوصف التي تعمق الفكرة، ومن خلالها يمكن أنسنة الجمادات.

ولذلك فالتشخيص فن تصويري متكامل للتعبير عن الكوامن النفسية بحرية مطلقة، ومن خلاله يمكن تحديد براعة المبدع حيث النظر إلى قدرته على الربط غير المتنافر بين الموجودات، ومدى قدرته على استعارة الصفات التي تناسبها، لتحقيق الهدف المرجو من استخدام التشخيص، فالشاعر أو الأديب يظهر قدرته وإبداعه حين يستطيع الربط الجيد الفعال بين الأشياء المختلفة لتوليد المعاني الجديدة، ولكي توحي للمتلقي بانفعالاته وشعوره وكيفية التعبير عن ذاته.

وهذا فضلا عن قدرة التشخيص على فتح أفق النص وتعدد الدلالات، بالإضافة إلى إثارة المفاجأة لدى المتلقي، ويسهم في تقوية الصورة، ومن خلاله

---

(١) مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م، ص١٣٦

(٢) جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص٢٤١

تتحول الصورة إلى مكون درامي داخل النص الشعري حيث أنسنة الموجودات غير البشرية، وقد يتم عبرها حوار فعّال. كما يندرج التشخيص ضمن التخييل البعيد الذي ينتج نوعا من الغرابة يرتكز عليها هذا التخييل في بلوغ الغاية التأثيرية.

ب- إبراهيم ناجي[١] وقصيدته الأطلال

يعد إبراهيم ناجي أحد أهم رواد مدرسة أبولو[٢] الرومانسية، التي يدعو أصحابها "إلي الوحدة العضوية للقصيدة، وإلي التحرير من الصُوَر والقوالب والألفاظ التقليدية، وينادون بالطاقة الفنية، من أجل الإبداع الفني بعيدا عن التقليد واجترار الموروث من وسائل التعبير والمضامين المقدمة."[٣]؛ فضلا عن اهتمامهم بمناجاة الطبيعة، فالشعر عند الرومانسيين كما عبّر عن ذلك إبراهيم

(١)"ولد إبراهيم ناجي في القاهرة سنة ١٨٩٨م، وفيها درس ملتحقا أولا بالمدرسة الابتدائية ثم بالمدرسة التوفيقية وبعد الدراسة بالمدرسة الثانوية التحق بكلية الطب، فنال شهادته سنة ١٩٢٣م، وعين طبيب مصلحة السكك الحديدية ثم انتقل إلى وزارة الصحة، فوزارة الأوقاف، وانتسب إلى جمعية أبولو سنة ١٩٣٢م، وقد توفي ١٩٥٣م، بعد حياة حافلة بالروح الإنسانية وبراءة النفس" وهو شاعر رومانسي من شعراء العصر الحديث، بدأ حياته الأدبية "بالتزود من شعر جماعة النهضة وكان يعجب بهم، خاصة بخليل مطران، ... حتى قيل إنه كان يحفظ أكثر شعره، وكان أهم ما يعجبه عنده شعره الوجداني، والتفت إلى المعين الغربي الذي ينهل منه مطران، وقد تأثر كثيرا بالمذهب الرومانسي وأفكاره إلى أن انضم بعد ذلك إلى جماعة أبولو انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في مصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦١م، ص ١٥٤- ١٥٥

(٢) هي جماعة أدبية أعلن تأسيسها في القاهرة عام ١٩٣٢م على يد أحمد زكي أبوشادي واختارت لها رئيسا أحمد شوقي وقد انضمّ إليها معظم شعراء العالم العربي حين تأسيسها، ظهرت لهم دواوين جديدة تعبر عن نزعتهم الرومانسية، كما التحق بها شاعرنا إبراهيم.

(٣) واصف أبو الشباب، القديم والجديد، دار النهضة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص ١٢٧

ناجي هو النافذة التي يرون منها الحياة[١].

وقد"كان ناجي وفيّا لنظرة المدرسة الرومانسية في وظيفة الشعر، فوظيفة الشعر عنده تعبيريّة ذاتية خاصة، ومصدرُ الشعر عنده مثله في ذلك، مثل معظم الرومانسيين إلهامٌ ووحيٌ من السماء، واهتمام ناجي بالوظيفة الذاتية للشِّعر لا يقيس وعيه بالوظيفة الاجتماعية العامة؛ فالرومانسيون جميعا ينطقون من حبٍّ شديدٍ للإنسانيّة المعذبة ورغبة في تخفيف آلامها"[٢]، وخير دليل على ذلك قصيدة الأطلال موضع هذه الدراسة، فهي قصيدة غزلية استطاع ناجي فيها أن يخرج نصا يعدّ مزيجا من الحس المرهف والإنسانية الخيرة، والحب المتغلغل في أعماق النفس، ومن الألم الدفين، والبكاء الممزوج بدموع الفرح، حتى قال عنه أحد خلانه: إنه كان يقهر أحزانه وآلامه بضحكة وابتسامة.[٣]، كما أنه يغلب عليه الحزن والانطواء والوجد والهيام والهروب والانطلاق والتمرد والتعلق بالطبيعة والتشبث بالحب، كان حزنه مقنعا بالبسمة، وانطواءه مستترا بالدعابة، وهروبه معروضا بالتشبث بالأصدقاء[٤]

وقصيدة الأطلال هي قصيدة مليئة بالصور التشخيصية التي لجأ إليها الشاعر ليرسم من خلالها مشاعره الحزينة، ويبرهن من خلالها على حالة الأسى والمرارة التي يعانيها، فكل مقطوعة في القصيدة لا تخلو من تصوير تشخيصي

---

(١)انظر: إبراهيم ناجي، ديوان إبراهيم ناجي، دار العودة، بيروت، لبنان،١٩٨٠م، ص ١١٧

(٢) محمد محمد عويضة، إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، الدار العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص١٧٢

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ص ٢/ ١٠٦

(٤) نسيب نشماوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الابتداعية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٨م، ص٢٣٣

أو أكثر، قد نجد صورا فنية ممتدة طوال المقطع الشعري قوامها التشخيص، فالصورة التشخيصية تمثل سمة بارزة في قصيدة الأطلال وذلك من خلال تشخيص الطبيعة وتشخيص المعنويات، فلم يكتف إبراهيم ناجي بأنسنة الطبيعة، بل اعتمد كذلك إلى أنسنة المعنويات ليخلق حالة من الحيوية والحركة، ويسهم في إثارة ذهن المتلقي.

المبحث الأول: تشخيص الطبيعة

كانت الطبيعة دائما منهلا عذبا استقى منه الشعراء عبر العصور، فلم يتركوا شيئا فيها إلا وصفوه، وذلك أمر طبيعي لا سيما إذا علمنا أن الطبيعة هي التي تشعل الروح الشاعرة، وتدفع بالينبوع الكائن في أعماق النفس إلى التدفق والانطلاق(١).

وقد وجد الشعراء الرومانسيون في الطبيعة ميدانا فسيحا للتعبير عن تجاربهم الشعرية، فهم "لا يرونها إلا انعكاسا لما يحتوى نفوسهم من حالات"(٢)، وقد تناولوا منها المناظر التي تتلاءم معهم، وتناسب أحاسيسهم، وحالاتهم النفسية، ففي حالات الكآبة والحزن والألم، نجدهم يتعرضون للعواصف، والرياح، والليل، والسواد.

لذلك كانت مظاهر الطبيعة التي لجأ إليها إبراهيم ناجي في قصيدته الأطلال قليلة، لأن القصيدة تعبر عن حالة شعورية تتسم بالحزن والكآبة، فقد استخدم ناجي من الطبيعة ما يتناسب مع حالته النفسية، وحاول من خلالها ترجمة ما يعانيه، فتمثلت الطبيعة عنده في الليل والريح والحجارة، وهذه العناصر ما هي إلا ترجمة حية لمشاعره الكئيبة الحزينة، فقد عكست حالته النفسية نظرته

(١) محمد زكي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٧٤م، ص٤٠٢٤

(٢) سيد حامد النساج، فى الرومانسية والواقعية، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت، ص٢٥

للطبيعة من حوله، فلم ير منها إلا ما يمثل الظلمة والسواد والرياح العاصفة، وهذا ما يمكن استنتاجه من عنوان قصيدته (الأطلال)، فندرك أنه ينظر إلى كل ما حوله على أنه طلل، وظهر ذلك في رسم الصورة التشخيصية لليل التي يقول فيها:[١]

هـــدأ الليـــل ولا قلـــب لـــه أيهـــا الســـاهر يـــدري حيرتـــك

أيهـــا الشـــاعر خـــذ قيثارتـــك غـــن أشـــجانك واســـكب دمعتـــك

رب لحـــن رقـــص الـــنجم لـــه وغـــزا الســـحب بـــالنجم فتـــك

غنـــه حتـــى نـــرى ســـتر الـــدجى طلـــع الفجـــر عليـــك فانتهـــك

تعكس الصور التشخيصية في هذه الأبيات حالة الحيرة والأسى التي يعانيها الشاعر، ففي هذه المقطوعة التي مُلئت بالصور التشخيصية بدأت بالليل، حيث تم محو أبعاد الزمان (الليل) وأعاد الشاعر رسمه مرة أخرى، فرسمه صورة حية وناطقة، فجعل الليل إنسانا اتصف بصفة الهدوء، واتهمه بعدم وجود قلب له، فلا يشعر ولا يحس، إنه إنسان جامد، لا مشاعر له، فظهر التناقض في رسم صورة الإنسان، ففي حين شخّص الليل ليكسبه روحا، انتزعها منه حين انتزع قلبه الذي هو منبع المشاعر، وذلك ليعلل عدم درايته بحيرته. ويتوجه الشاعر بعد ذلك بحديث نفسه ناصحا بغناء الحزن والدمع وحيدا. ويأتي التشخيص الآخر في المقطوعة حيث ألصق فعل الرقص للنجم، وفعل الهتك للفجر، فقد تزاحمت شخصنة عناصر الطبيعة الليلية، فكان هذا الوصف وصفا غير تقليدي لليل وعناصره الملازمة له، ففي هذه الصورة إبداع ذهني يحيله خيال الشاعر إلى لوحة بديعية صوّر فيها الليل بعدسته التي عكست مشاعره وعاطفته ونظرته للكون حوله، فقد ألبس أحد عناصر الطبيعة (الليل) الحركة

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٤١

والحياة وجعله نابضا لكنه دون مشاعر.

ويلاحظ في تصوير إبراهيم ناجي للطبيعة في قصيدته أنه لم يبتعد عن الليل بما فيه، فالليل لديه هو الزمان المناسب لخروج مشاعره وترجمة عاطفته، فالليل عنده يعكس حالة الظلام الدفينة في قلبه، وكان اعتماده على صورة الليل مبعثه شعوره بنهاية رحلته مع محبوبته، فقد وصلت تجربته العاطفية إلى نهايتها المأسوية، لذلك نكاد نعدم أي صورة نهارية في القصيدة. وهذا يؤكده المقطع التالي الذي فيه:(١)

يـــالمنفيين ضـــلا فـــي الوعـــور دميـــا بالشـــوك فيهـــا والصـــخور

كلمـــا تقســـو الليـــالي عرفـــا روعـــة الآلام فـــي المنفـــى الطهـــور

طـــردا مـــن ذلـــك الحلـــم الكبيـــر للحظـــوظ الســـود والليـــل الضـــرير

يقبســـان النـــور مـــن روحيهمـــا كلمـــا قـــد ضـــنت الـــدنيا بنـــور

ففي هذه المقطوعة يتحدث عن ضياعه ومحبوبته في مواجهة الليالي الموحشة، فقد جعلها قاسية، ووصفها بالعمى (الليل الضرير) كناية عن ظلامه الدامس وعدم تمييزه بين المشاعر الصادقة أو المزيفة، وقد بحث الشاعر ومحبوبته عن النور فلم يقتبساه إلا من روحيهما، فالدنيا بأسرها لم تمدهما بنور، فهذه الأبيات عكست نظرة الشاعر ورؤيته للنهار والنور، وكذلك رؤيته لليل، فالليل بالنسبة هو حياة رغم قساوته، لعدم وجود النور الذي يرمز إلى الأمل. وتظهر صورة الليل الكريهة لدى الشاعر، حين لجأ للدعاء عليه في البيت التالي:(٢)

لا رعـــى الله مســـاء قاســـيا قـــد أرانـــي كـــل أحلامـــي ســـدى

---

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٥

(٢) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٧

فقد شخص هنا الليل وجعله إنسانا قاسيا، وتكرار وصف الليل بالقسوة يعكس النظرة الكامنة في نفس الشاعر تجاه الليل وأفعاله، ويدعو عليه، وهنا يأتي المساء، دلالة على أن الشاعر يعيش في الليل بدرجاته، بداية من المساء إلى ماقبل طلوع الفجر، فحياته استحالت لظلمة نتيجة شعوره بفقدان الحب والحبيب.

لقد عبَّر الشاعر عن وحشته وآلامه باستخدام الليل الذي هو أحد أركان الطبيعة، فقد تأثر به لذلك عمد إلى تشخيصه ليستطيع وصفه بدقة، فالشاعر حين يتأثر بالطبيعة فيشخصها "ويضفي عليها مضمونا إنسانيا؛ ليربط بينها وبين واقعه النفسي وأحاسيسه الخاصة، ويرى فيها ذاتا تنبض بالحياة وتتجاوب معه"(١) وبهذه الآلية يكشف الأديب عن عالمه الداخلي الخفي وما يحمله من مونولوج داخلي وتأثيره فيه وقدرته على منحها الأدبية بصور قوامها الكلمات، وهذا ما ظهر بوضوح في حديث إبراهيم ناجي عن الليل في قصيدته الأطلال.

ولأن مشاعره جياشة وعاطفته قوية، بل تسيطر على عاطفته الثورة الدفينة على كل الأوضاع التي أدت إلى ضياع محبوبته، فكما كان الليل مسيطرا عليه، كانت الريح كذلك معبرة عن حالة الهيجان العاطفية التي يعانيها الشاعر، فيقول:(٢)

يــا رياحــا لــيس يهــدا عصــفها نضــب الزيــت ومصــباحي انطفــا

فهنا يأتي التشخيص للرياح باستخدام أداة النداء (يا) وقد وصفها بديمومتها العاصفة، فهي لم تكن نسيما إنما عاصفة لا تهدأ، ويحاول مخاطبتها مستعطفا إياها للهدوء، فقد (نضب الزيت والمصباح انطفا) كناية عن تعبه من الهجر

(١) عبد الرحمن عرفان، الشعر الحديث في اليمن ظواهره الفنية وخصائصه المعنوية، جامعة بغداد، ١٩٩٦م، ص١٤١

(٢) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٢

ونفاذ طاقته في البحث عن ديمومة العلاقة،ويستمر في خطاب الرياح مستعطفا إياه وليشهده على حبه؛ فيقول:(١)

أيهـــا الـــريح أجـــل لكنمـــا هـــي حبـــي وتعلاتـــي ويأســـي

هـــي فـــي الغيـــب لقلبـــي خلقـــت أشـرقت لـي قبـل أن تشـرق شـمس

وعلـــى موعـــدها أطبقـــت عينـــي وعلـــى تـــذكارها وســـدت رأســـي

فهذه الأبيات تمثل مقطوعة كاملة يخاطب الشاعر فيها الريح معللا حالته النفسية التي وصل إليها، واستمراريته في حالة الهيام والرفض لما حدث لهما، ويؤكد أن حبهما كان بالقدر، ومكتوبا قبل أن تشرق الشمس على الكون. واعتمد هنا كذلك التشخيص من خلال استخدام الأداة (أيها) مع حذف اداة النداء (يا) لدلالة القرب، واستخدامها وسيلة للتنبيه الزائد. وكأن هذا التنبيه موجه إلى القارئ للتنبيه إلى المعاني المطروحة في سياق القصيدة، ولرغبة الشاعر خلق حالة من الاتحاد الشعوري بينه وبين المتلقي.

إن الرياح في شعر إبراهيم ناجي تمثل حالة العنفوان التي عصفت بعلاقته بمحبوبته، بل ربما هي السبب الرئيس فيما آلت إليه حالته النفسية، فعمد إلى وصفها بالقساوة والشدة، وألبسها صورة حزينة وبالغ في تصوير الحزن من خلال التشخيص، ففي المقطوعة التالية يحاول إظهار الرياح في كونها المسيطرة على حالته، فيقول:(٢)

لســـــت أنســـــى أبـــــدا ســـــاعة فـــــي العمـــــر

تحـــــت ريـــــح صـــــفَّقت لارتقـــــاص المطـــــر

نوحـــــت للـــــذكر وشـــــكت للقمـــــر

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٩

(٢) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٨

وإذا مـــــــــا طربـــــــــت عربـــــدت فـــــي الشـــــجر

ألبس الشاعر في هذه الأبيات الرياح صفات إنسانية تدل على الفرح، فجرد منها أشخاصا تصفق، وتنوح، وتشكو، تطرب، وتعربد، كما أضاف التشخيص إلى المطر حين ألصق إليه فعل الرقص، والألفاظ (صفقت – ارتقاص – طرب) رغم كونها تدل على حالة من الفرح، فإنها عكست حالة الشماتة التي انتابت الريح حين فقد محبوبته، فهنا الريح ترقص شامتة لما آلت إليه علاقته مع محبوبته، فالريح تصفق عندما يرقص المطر، ونوحت للذكر، وشكت للقمر، وإذا ما طربت عربدت في الشجر، فقد تضافرت هذه الصورة التشخيصية لـ(الريح – المطر – القمر) لتبيان الحالة الشعورية الحزينة التي آل إليها الشاعر، حيث منح إبراهيم ناجي في هذه الصورة التشخيصية صفات الإنسان الشامت على الرياح، وهنا خرجت اللغة بدلالتها عن معياريتها، فإذا كانت معيارية الألفاظ المستخدمة تدل على الفرح، إلا أن سياقها يدل على الألم والحسرة والتوجع، وهنا يظهر تمكن إبراهيم ناجي في استخدامه لغة أدبية مائزة "لا يتسنى لها أن تسمو على ما هو مألوف من الأساليب التعبيرية إلا بالخروج على منطقية الدلالة المعيارية"(١)، وبذلك يحقق هدفه المتمثل في التعبير عن نفسه والتأثير في المتلقي، فضلا عن إثارة ذهنه من خلال عنصر المفاجأة الذي ينتج من ذلك اللغوي إلى دلالات جديدة رغم الإيجاز والتكثيف في الصياغة اللغوية، فالمبدع حين يوظف التشخيص في أدبه فهو بهذا يحق للمتلقي غايته التأثيرية في المتلقي بما حققه من انزياح لغوي قائم على التكثيف والإيجاز والاقتصاد في الألفاظ، وهي بذلك تحقق الربط بين الصياغة اللغوية والدلالات الجديدة المتولدة لتعبر عن الحالات الشعورية، وبذلك يكون الشاعر حقق من خلال صورته التشخيصية تأكيدا للمعنى وتحفيزا لذهن القارئ، فضلا عن المتعة والإثارة.

---

(١) مسلم حسب حسين، جماليات النص الأدبي ، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠٠٧م، ص٨١

ولاكتمال الصور العنيفة يأتي تشخيص الشاعر للحجارة، فيقول:[١]

يـا مغنـي الخلـد ضـيعت العمـر فـي أناشـيد تغنـي للبشـر

لـيس فـي الأحيـاء مـن يسـمعنا مـا لنـا لسـنا نغنـي للحجـر

للجمـارات التـي ليسـت تعـي والرميمـات البـوالي فـي الحفـر

غنهـا سـوف تراهـا انتفضـت تـرحم الشـادي وتبكـي للـوتر

جعل التشخيص للحجارة التي سوف يغني لها وتسمع، ويغني للجمارات والرميمات في الحفر، مما يؤدي إلى انتفاضها، وبكاها لتاثرها، وفي هذه الصورة يسحب الشاعر الصفات الإنسانية (الرحمة) من البشر، ويمنحها للحجارة، وذلك تأكيد على أن الجمادات ربما تتأثر بما يمر به، دون تأثر البشر، فقد استخدم الشاعر في هذه الأبيات التشخيص ليبرهن على أنه عندما يمنح الجماد الحياة، ربما يكون تتبعث فيه صفة الرحمة التي تم انتزاعها من البشر.

ومما يؤكد سيطرة حالته النفسية الحزينة نتيجة فقد محبوبته، نجده يصور الأزهار في صورة حزينة كئيبة، وقد لجأ إلى التشخيص حيث قال:[٢]

وإذا مـا زهـرات ذعـرت ورأيـت الرعـب يغشـى قلبهـا

فترفـق واتئـد واعـزف لهـا مـن رقيـق اللحـن وامسـح رعبهـا

ربمـا نامـت علـى مهـد الأسـى وبكـت مستصـرخات ربهـا

أيهـا الشـاعر كـم مـن زهـرة عوقبـت لـم تـدر يومـا ذنبهـا

تأتي المفارقة في هذه الأبيات من أنه يستخدم مفردة الزهرة، وربما نستشعر منها بنافذة تظهر جمال الطبيعة، إلا أن الشاعر وللمفارقة يستخدم الزهرات

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٩

(٢) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٤١

ويرسم عليها الرعب والذعر، والبكاء والصراخ، وهذا المنحى التصويري المجازي يعبر عن موهبة الشاعر أظهرت براعته في مخالفة توقع القارئ من خلال توظيف المجاز، فـ"المجاز الجيد دليل الموهبة البصيرة القادرة على إدراك وجوه الشبه في الأشياء غير المتشابهة"(١)؛ فربما الشاعر أراد من تشخيصه للزهرات أن يبرز الحال التي تصيب كل ما هو جميل وبريء بفعل الزمن، فالأزهار الجميلة البريئة صارت في حالة من الهلع والزعر والخوف. وقد أسقط صورة الزهرة هنا على محبوبته، لكنه حاول إخراج المعنى من الخصوصية والذاتية إلى العامة ليكتسب بذلك تأثيرا أوسع وأكثر قبولا لدى المتلقي.

وعندما يستخدم رمزا جميلا آخر (السماء) في تشخيصاته، يستخدمه مع الفعل (ضلَّ) ليبرهن على تشوه الطبيعة من حوله، فيقول:(٢)

ضـــــل فـــــي الأرض الـــــذي ينشـــــد أبنـــــاء الســـــماء

فقد شخص السماء وجعلها شخصا له أبناء، وأبناء السماء (كناية عن الملائكة) ورغم طهارتهم ونقائهم فقد جعل من يعتقد الاتصال بهم في ضلال بيِّن، وقد أفاد في هذا البيت من التشخيص حيث منح الصورة بعدا عميقا حين تجاوز المستوى السطحي للفظ والغور في المستوى العميق والبحث في الغريب واللامألوف من خلال تأليف غير المتشابهات.

إن الحالة النفسية والمشاعر الحزينة هي العامل المشترك في رسم الصور التشخيصية للطبيعة عند إبراهيم ناجي في قصيدة الأطلال، فبالرغم من تشخيصه للأزهار والسماء، فإنه خالف توقع القارئ من خلال وصفهما بصفات اتسمت بالحزن والألم والوجع، فكانت الصورة التشخيصية لديه مرآة انعكس عليها حالته النفسية، فالتشخيص بوصفه صورة أدبية أتاحت للمتلقي حالة المبدع

(١) أرسطو، فن الشعر، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، ٢٠٠٥، ص٦٣

(٢) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٩

النفسية وعبَّرت عن الأفكار والمشاعر، فهي أحد الوسائل التي اعتمد عليها الشاعر؛ لإيصال معانيه وأفكاره في صورة فنية منحت الحياة للموجودات فكانت تشعر وتحس وتسمع وتتكلم، وتصرخ، وتضل، وترقص وتغني وتصفق....

وهكذا كان تشخيص الطبيعة معبرا عن الحالة النفسية والشعورية لإبراهيم ناجي، كما ترجم التشخيص المعاني المجردة التي أراد إيصالها للمتلقي، كما برهنت الصور السابقة على رومانسية إبراهيم ناجي التي أكدت أن الرومانسيين يميلون بطبعهم إلى الخيال وتوظيفه في أشعارهم، ويستفيدون من ذلك في النظر إلى الموجودات من حولهم فيتوحدون معها ويتأملونها ليجعلونها تنطق وتصمت وتحزن وتفرح، وتخاف وتنزعج، وهي كلها مشاعر إنسانية يتم إلصاقها بالموجودات، كما يستخدمون عناصر الطبيعة لينقلون للمتلقي تجربتهم عبرها، لذلك استخدم إبراهيم ناجي التشخيص بوصفه تقنية فنية عالية الدقة والجمال لنقل مشاعره، أو بالأحرى للتعبير الرمزي عما لا يمكن أن يبوح به، فقد أدى التشخيص إلى تكثيف الألفاظ والبوح بالكثير من الدلالات التي تولدت من خلال منح الحياة للطبيعة حتى أضحت شخوصا عاقلة تتفاعل وتتجاوب وتستشعر وجوده، وقد خلع عليها الشاعر من ذاته حين ألبسها المشاعر الحزينة، فامتزجت الذات بالموضوع، وظهر الأثر الجمالي من الخلال التأثير النفسي للقارئ.

المبحث الثاني: تشخيص المعنويات

يقصد بالمعنويات كل الأمور المعنوية غير المحسوسة، وقد أعمل فيها إبراهيم ناجي تمكنه اللغوي والتصويري ليمنحها الحياة، حتى تصبح معبرة عن مشاعره، ورسم من خلالها صورة فنية مكَّنت المتلقي من استيعاب التجربة الشعورية للنص، واسهمت في تأثره واندماجه فكريا وعاطفيا ونفسيا داخل النص الشعري، فتشخيص المعنويات جعل الصورة الفنية في القصيدة أكثر ثراءً ومتعة، حيث جعلت المتلقي أكثر انفعالا بالدلالات الجديدة المتولدة من التجاوز اللغوي، وهذا التأثر والانفعال ما كان ليتحقق بهذه القوة لولا التشخيص، فلو كانت

القصيدة تقريرية مباشرة لانعدم هذا التأثر، فإبراهيم ناجي في تشخيصه للمعنويات حاول الاستعانة بالأدوات والعناصر الفنية التي تجذب المتلقي ليجعله منفعلا بالقصيدة، انفعل هو من قبله بالتجربة الشعورية أثناء تزامنت مع كتابتها.

ومن أمثلة تشخيص المعنويات يقول إبراهيم ناجي في تشخيص الفؤاد:(١)

يـــا فـــؤادي رحـــم الله الهـــوى كـــان صـــرحا مـــن خيـــال فهـــوى

في هذا البيت شبه الشاعر الفؤاد بإنسان ينادي عليه موجها له الخطاب بالخبر في صغية الدعاء (رحم الله الهوى) وهنا تشبيه آخر للهوي بشخص يتم الترحم عليه، وقد بدأ الشاعر قصيدته بتشخيصين الأول (الفؤاد) والثاني (الهوى)، كما استخدم التجسيد للهوى في قوله (كان صرحا من خيال)، ولأن الصورة الفنية هي تعبير عن نفسية الشاعر، والتعرف عليها يقود بالطبع إلى كشف المعنى الأعمق للتجربة الشعرية، فقد بدأ إبراهيم ناجي قصيدته بكثافة صُوَريَّة في مطلع القصيدة تعكس رؤيته في التشخيص بوصفه وسيلة تصويرية سيعتمد عليها في ترجمة مشاعره في هذه القصيدة، فاستخدم الشاعر أداة النداء لاحتكام التشخيص في الصورة، فالنداء لا يكون إلا على من يعقل وله حياة، فقد أضفى صفة الحياة على القلب، وقد استخدم الخبر الذي حمل معنى الإنشاء بهدف الدعاء (رحم الله الهوى) للاستحواذ على ذهن المتلقي لبث الصورة التشخيصية على (الهوى)، فالبيت به تشخيصان أحدهما للفؤاد والأخرى للهوى، مما يؤكد رغبة الشاعر في الاستحواذ على ذهن المتلقي منذ مطلع قصيدته اعتماده على النداء والدعاء وهما من الأساليب الإنشائية التي تستدعي الذهن للتركيز في المضمون، كما أن المطلع أثبت قدرة الشاعر على التجاوز عن اللغة المعيارية إلى اللغة المجازة للتعبير عن مشاعر الحزن والأسى، ومن خلالها رسم الملامح العامة لقصيدته، وترجم حالته الشعورية والنفسية.

---

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٢

ويلجأ الشاعر إلى استخدام النداء مرة أخرى بوصفه وسيلة تشخيصية؛ فيقول:[١]

يـا غرامـا كـان منـي فـي دمـي قـــدرا كـــالموت أوفـــى طعِمـــهِ

مـا قضـينا سـاعة فـي عرسـه وقضـــينا العمـــر فـــي مأتمـــه

مـا انتزاعـي دمعـة مـن عينـه واغتصـــابي بســـمةً مـــن فمـــه

ليـت شـعري أيـن منـه مهربـي أيـن يمضـي هـاربُ مـن دمِـهِ

تعددت التشخيصات في هذه الأبيات فمنها تشخيص لـ(الغرام)، وهنا الشاعر يؤنس أمرا معنويا هو الحب والغرام، واصفا إياه بمدى تمكنه من نفسه، وهو قدره الذي لا مفر منه كالموت لا يمكن الفرار منه، ثن رسم الشاعر صورة تشخيصية أخرى لـ(القدر) وصفه فيها بإنسان له عرس، وله مأتم، وله عين، وله فم، ففي هذه المقطوعة يصور القدر إنسانا من خلال الصورة التشخيصية التي منحت الحياة للقدر، وقد رسم ملامح الأنسنة بدقة على القدر الذي شبهه بالموت، وتأتي قوة الصورة التشخيصية لكون الموت أحد الحقائق التي لا مفر منها، وقد لجأ الشاعر إلى الصورة المركبة التي شبه فيها القدر بالموت أولا، ثم أضاف الصورة التشخيصية على القدر فجعله إنسانا، ومن هنا تأتي المفارقة، في كونه يشبهه صراحة بالموت (قدرا كالموت) ثم بعد ذلك يعمد إلى رسم صورة مناقضة لذلك، منحه من خلالها الحياة، فقد جعل القدر إنسانا له عرس، وله مأتم، وله عين تدمع، وله بسمة تغتصب لصعوبتها، وله دم. وهنا تكاملت صورة القدر التي رسمها الشاعر؛ حيث جاءت ملامح الحزن التي انتقلت من الشاعر إلى القدر، فذكر الصفات المصاحبة للموت التي أوضحت ملامح هذا الموت، فالعين دامعة، والفم لا يبتسم إلا اغتصابا، وهي صورة تسحب الحياة التي منحها

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٢

الشاعر للقدر من خلال التشخيص، فهي حياة تشبه الموت في صفاتها.

لقد أظهرت هذه الصورة حالة التوتر العاطفي والفكري التي يعانيه الشاعر، وهذا التوتر ظهر حين شبه الشاعر القدر بالموت، ثم منحه الحياة من خلال التشخيص، ثم أضفى صفات أخرى مناسبة لحالة الموت. كما ترجمت حالة الحزن العميق والتأسي من أفعال القدر.

ولأن النداء يعد من الوسائل التشخيصية البارزة في القصيدة؛ فيقول:[(١)]

يـــا نـــداء كلمـــا أرســـلته رد مقهـــورا وبـــالحظ ارتطـــم

وهتافـــا مـــن أغاريـــد المنـــى عـــاد لـــي وهـــو نـــواح ونـــدم

رب تمثـــال جمـــال وســـنا لاح لـــي والعـــيش شـــجو وظلـــم

ارتمـــى اللحـــن عليـــه جاثيـــا لـــيس يـــدري أنـــه حســـن أصـــم

بدأت الأبيات بالتشخيص لـ(نداء) و (هتافا) ذاكرا أداة النداء مرة (يا نداء) ومحذوفة مرة (وهتافا) ولصق بهما أفعالا متقاربة الدلالة (رد مقهورا) و (عاد لي وهو نواح وندم)، ثم جاء التشخيص في البيت الأخير في الصورة الاستعارية التشخيصية (ارتمى اللحن جاثيا) التي استخدم فيها مجازية اللغة للتعبير عن التشخيص، وقد امتلأت الصورة بالحركة من خلال الأفعال (رد – عاد – ارتمى)، فالتشخيص الواقع في هذه الصور المتعاقبة أضفى حركة معنوية على النص، وأوضح بجلاء حجم العناء الذي يعانيه الشاعر، ومجاهدته لكل ما حوله محاولا الوصول إلى ما كان عليه من حالة حب وعشق، إلا أن الواقع المرير يتحكم فيه وتبوء كل محاولاته بالفشل.

ويعد الحوار كذلك من الأساليب التشخيصية التي يعتمد عليها الشاعر في خلق حالة حوارية بينه وبين الموجودات من حوله، ففي المقطوعة التالية، يعتمد

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٤١

الشاعر تقنية الحوار الدرامي ليكون أداة للتشخيص، فيقول: :[١]

فـــإذا قلـــت لقلبـــي ســـاعة قـــم نغـــرد لســـوى ليلـــى أبـــى

... .

ولكـم صـاح بـي اليـأس انتزعهـا فيـرد القـدر السـاخر : دعهـا

يـا لهـا مـن خطـة عميـاء لـو أننـي أبصـر شـيئا لـم أطعهـا

جاء التشخيص في هذه الأبيات مرتبطا بالقلب الذي جرَّد منه الشاعر إنسانا يخاطبه محاورا إياه، كما شخص اليأس في صورة إنسان متمرد ثائر يلجأ إلى الصياح لتنفيذ الأمر بالانتزاع، ويتدخل القدر متقمصا صورة الإنسان الساخر من الوضع، كل هذا الحوار كان الشاعر طرفا فيه بذاته، فهذه الأبيات رسم بها الشاعر مشهدا دراميا، وصورة تمثيلية عكست حالة الصراع الدفين في نفسيته، فظهر ذلك في صياغته لهذه المقطوعة.

ففي هذه المقطوعة الشعرية اعتمد الشاعر آلية الحوار لخلق نمط تشخيصي، فساق حوارا مع بعض الأمور المعنوية (قلبي – اليأس – القدر) فقلبه الذي يعد حاملا لكل أنواع الألم والمشاعر الحزينة التي يعانيها الشاعر من جراء علاقته بمحبوبته التي باءت بالفشل، ويحاول تدارك الأمر، والتخفيف عن قلبه من خلال نسيان الماضي بمحاولة الحب مرة أخرى إلا أن قلبه يرفض ذلك، وهنا يتدخل اليأس محاولا ثائرا لانتزاع الحب مرة أخرى، إلا أن القدر يظهر بصورة إنسان ساخر يأمره بترك الحب الجديد، وتتبع سخرية القدر من تمكنه في معرفة عدم قدرة الشاعر على النسيان، كما يسخر مما آل إليه الشاعر بسبب القدر ذاته.

إن الشاعر استخدم التشخيص في هذه الأبيات تعبيرا منه عما يتمناه من

---

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٦

خلق حوار درامي لعله يغير من واقعه، فيعبر بالتشخيص عما هو غائب ويتمناه؛ فالشاعر في هذا الموقف لا يريد أن يتحدث مباشرة عن الألم الذي يعانيه من فراق محبوبته ووحدته، فلجأ إلى طرق تعبيرية ابتعدت عن المباشرة، ولجأ إلى اللغة المجازية لقدرتها على إيصال إحساسه ومشاعره بدقة، فخلق حوارا بينه وبين قلبه واليأس والقدر، وكان ذلك وسيلة من وسائل الكشف عن حالته النفسية الممزقة، وترجمت الموقف الانفعالي، وعكست الصراعات النفسية الدفينة في نفس الشاعر.

إن إبراهيم ناجي في هذه الأبيات الشعرية استنطق المعنويات (القلب واليأس والقدر) وابتكر لذلك مشهدا حواريا عبّر بصدق عن حالته الشعورية التي يكابدها من ألم ووجع، هذا التعبير ظهر من خلال رد فعل القدر واليأس على موقف القلب، وهنا كان التشخيص وسيلة مهارية أسهمت في كسر أفق التوقع لدى القارئ من خلال المجاوزة في اللغة الفنية المستخدمة في النص الشعري.

إن من أهم ما يميز الصور التشخيصية في هذه القصيدة هي اعتماد إبراهيم ناجي على أن تظهر الصورة متكاملة ومركبة، فالصورة الفنية لديه يمكن أن تكوّن مشهدا مسرحيا يمكن تصويره، وقد ظهر هذا في المقطوعة السابقة، وظهر أيضا في المقطوعة التي تحدث فيها عن الشوق، فيقول في وصف الشوق: (١)

ومـــن الشـــوق رســـول بيننـــا ونـــديم قـــدم الكـــأس لنـــا
وســـقانا فانتفضـــنا لحظـــة لغبـــار آدمـــي مســـنا
قـد عرفنـا صـولة الجسـم التـي تحكـم الحيـى وتطغـى فـي دمـاه
وســمعنا صــرخة فــي رعــدها ســوط جــلاد وتعــذيب إلــه

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٥

أمرتنـــــا فعصـــــينا أمرهـــــا وأبينـــا الـــذل أن يغشـــى الجبـــاه

حكـم الطـاغي فكنـا فـي العصـاة وطردنـــا خلـــف أســـوار الحيـــاةْ

الصورة المتكاملة هنا يمكن تخيلها من خلال تشخيصه للشوق ووصفه بالرسول والنديم، وهذا النديم يقدم الكأس له ولمحبوبته، ويسقيهما حتى ينتفضا لغبار آدمي مسهما، ثم يظهر الصوت في هذه الصورة متمثلا في الصرخة التي عمد الشاعر إلى تشخيصها وتشبيهها، فصنع منها صورة مركبة كذلك مرة من خلال التشبيه بأن وصفها بسوط جلاد، ومرة من خلال الاستعارة التشخيصية (أمرتنا فعصينا)، وهنا تكاملت الصورة البيانية مع التشخيص لرسم صورة متكاملة.

كما لجأ الشاعر في هذه المقطوعة كذلك إلى الاعتماد على الجمل الحوارية بوصفها أداة تشخيصية بارعة، فخلق حالة حوارية أطرافها الشاعر ومحبوبته والصرخة التي أنسنها الشاعر، وهذا النموذج الحواري يعبر به الشاعر عما يقاسيه من توتر وتمزق نفسي ومعنوي.

لقد أجاد إبراهيم ناجي حين جاءت الصور الشعرية في المقطوعة السابقة متكاملة ومعبرة عن تجربة إبراهيم ناجي، وشارحة ومبرهنة على حالته النفسية، فالتشخيص أسهم في إظهار تجربة الشاعر وعاطفته، وأفصح عن مشاعره التي سيطرت على القصيدة، فكانت الصورة التشخيصية وسيلته لتكوين رؤيته ونقلها للمتلقي، وساعده في ذلك استخدام الألفاظ والعبارات التي عبرت بصدق عن مشاعره ووجدانه؛ لذلك عند تحليل المقطوعة السابقة نكتشف أن إبراهيم ناجي في هذه المقطوعة أدار رسم صورته بإحكام متناه، واستخدم فيها الإمكانات اللغوية المتاحة، فقد جاء بالألفاظ التي عبرت عن حالته النفسية فهي صرخة ظالمة، استخدم معها الألفاظ (السوط – الجلاد – التعذيب – الطاغي – طردنا) هذه الألفاظ تحمل دلالة العدوان والممارسات القمعية التي مارسها القدر على يد

المحيطين به، فكل الظروف السيئة التي أحاطت بهما كانت مثل الصرخة، كما استفاد الشاعر من التجاوزات التركيبية في اللغة مثل التقديم والتأخير الذي جاء في: (ومن الشوق رسول)، فقد قدّم الخبر على المبتدأ النكرة للتشويق وشد الانتباه، كذلك اعتماده على الأفعال الماضية التي أشاعت في النص إحكام الفعل وسطوته، والحذف في (حكم الطاغي) وهنا إسقاط على القدر ووصفه (بالقدر الطاغي) وقد تم استنتاج هذا الوصف بناء على سياق الأبيات، وهنا يظهر التكامل في المعاني والارتباط الشديد في الخيال والتصوير، كما تبرهن هذه الصياغات على تمكن الشاعر من لغته، وقدرته على استخدامها في التعبير عن مكنونات نفسه.

لقد اعتمد إبراهيم ناجي التشخيص في هذه القصيدة بوصفه تقنية فنية أسلوبية تميز شعره، ولما تتميز به هذه السمة الأسلوبية حيث قدرتها على خلق حالة من الإمتاع والتأثير في المتلقي، فمن خلالها استطاع الشاعر بث تجربته للمتلقي، وتأكد من التأثير فيه من خلال رسم الصور التشخيصية الكثيفة التي رسم من خلالها – في كثير من الأحيان – صورة فنية متكاملة يستطيع المتلقي تخيل أشخاصها، أو ترجمتها في لوحة فنية مرسومة، ومن النماذج التي وردت لتؤكد هذا الرأي المقطوعة التي عبر فيها عن حسرته على ضياع عمره وأمله، فجاء بالكثير من الصور التشخيصية التي عبرت عن حالة الأسى التي يعانيها الشاعر من خلال إضفاء الصفات الإنسانية على المعنويات، فيقول:(١)

ألمح الدنيا بعيني سئم وأرى حولي أشباح الملل

راقصات فوق أشلاء الهوى معولات فوق أجداث الأمل

ذهب العمر هباء فاذهبي لم يكن وعدُك إلا شبحا

(١) إبراهيم ناجي، الديوان، ص ١٣٣

صـــفحة قـــد ذهـــب الـــدهر بهـــا أثبـــت الحـــب عليهـــا ومحـــا

انظـــري ضـــحكي وارقصـــي فرحـــا وأنـــا أحمـــل قلبـــا ذُبِحـــا

ويرانـــي النـــاس روحـــا طـــائرا والجـــوى يطحننـــي طحـــن الرحـــى

في هذه المقطوعة جاء التشخيص من خلال إضافة الصفات الإنسانية على الأشباح(المعنوية) التي ظهرت في صورة راقصة، كما جاءت الصورة الاستعارية التشخيصية لتضفي الصفات الإنسانية على الهوى في (أشلاء الهوى) فجعل الهوى شخصا تحول إلى أشلاء، وعلى الأمل (أجداث الأمل)، والعمر (ذهب العمر) والدهر في (ذهب الدهر) والحب في (أثبت الحب عليها ومحا)، فانظر إلى حجم التشخيصات المتوالية في مقطوعة واحدة جاءت لتؤكد إيمان الشاعر بالدور المعنوي والدلالي التي تمنحه الصور التشخيصية للنص الأدبي، وإيمانه بقدرتها على ترجمة حالته، وإسهامها في إمتاعه للمتلقي، وإعمال ذهنه، فهذه الكثافة الصورية تمنح النص صدقا فنيا خاصة عند تكاملها وعدم تنافرها.

إن إبراهيم ناجي في هذه المقطوعة استخدم التشخيص ليقدم لنا صورة أسطورية ملأها الرعب من الخيال المرسوم بالصورة حيث ظهرت فيها أشباح الملل الراقصة فوق أشلاء الهوى، فالتشخيص هنا أسهم في الخروج بخيال المتلقي لترجمة هذه الحالة الأسطورية التي صنعتها الصورة السابقة التي جعلت من إبراهيم ناجي صانعا للأسطورة في شعره، ولا غرابة في ذلك، فـ"الشاعر وصانع الأسطورة يعيشان في عالم واحد ولديهما موهبة واحدة هي قوة التشخيص فهما لا يستطيعان تمثل شيء إلا إذا أعطياه حياة داخلية وشكلا إنسانيا.[١]"، فالتشخيص في التصوير قد يؤدي وظيفة إضافية وهي الجانب الأسطوري الغارق في الخيال، وفي ذلك إمعانا في تحفيز المتلقي واستثارة ذهنه.

---

(١) إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، د.ت، ص١٥٦

الخاتمة والتعقيب:

لقد امتلأت قصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي بالتشخيص الذي اعتمد عليه اعتمادا كليا، ربما كان الهدف من ذلك هو إضفاء الحياة على القصيدة بهدف التأثير في المتلقي لاستحضار ذهنه، واندماجه مع الحالة الشعورية التي يمر بها الشاعر، وقد كشف لجوء إبراهيم ناجي إلى التشخيص عن حالة العزلة والانطواء التي ظهرت ملامحها في قصيدته، لذلك آثر إبراهيم ناجي شخصنة جميع الموجودات من حوله ليتحدث معهم بالطريقة والأسلوب الذي يرسمه هو، فكأنه أعاد تشكيل الموجودات طبقا لرؤيته الشخصية والنفسية، وليعبر من خلالها عن مشاعره وأحاسيسه، خاصة في هذه القصيدة التي تحكي قصة حبه وفراقه التي أثرت بشكل كبير في نفسيته، وبالتالي فالقصيدة ما هي إلا حالة شعورية ونفسية ابتدعها المؤلف ليعبر من خلالها عما يعتلج في كوامنه النفسية.

كما استعاض إبراهيم ناجي بالتشخيص حالة الحرمان التي يعانيها من فقد محبوبته، فكان التشخيص وسيلة لفتح حوار مع الموجودات من حوله، فالتشخيص في القصيدة أزاح الستار عن كون الشاعر وحيدا، ولكونه وحيدا فلم يكن له بد من أنسنة الموجودات من حوله ليخلق حالة من التوازن الحواري بينه وبين الموجودات من حوله سواء على مستوى عناصر الطبيعة، أو على مستوى الأمور المعنوية.

إن التشخيص في القصيدة ظاهرا بشدة مما يبرهن على رومانسية إبراهيم ناجي، حيث الالتزام بمبادئ المدرسة الرومانسية في إعلاء شأن العاطفة، وأن الشعر يتحدث عن حالة شعورية ذاتية، وليس أصدق من هذه القصيدة الغزلية التي عكست حالة الشاعر العاطفية، أضف إلى أن أحد مبادئ الرومانسيين الهروب إلى الطبيعة، وهذا ما فعله الشاعر حين خاطب الطبيعة بل شخصنها وجعلها تشاركه أحزانه، بل طبع عليها حالة الحزن والألم التي يعانيها الشاعر، فضلا عن الخيال المستخدم في ظاهرة التشخيص، فالخيال أحد الأركان الرئيسة

التي اعتمد عليها الرومانسيون في شعرهم، وعلى ذلك يكون التشخيص في قصيدة الأطلال عبَّر بصدق عن مذهب إبراهيم ناجي الشعري، والتزامه بالعاطفة والخيال وصدق التجربة الشعورية.

و يمكن القول إن لجوء إبراهيم ناجي إلى التشخيص في قصيدته كان رغبة منه في إثراء صوره الفنية، وبالتالي هذه الصور تعكس تفكيره ورغبته الشعورية التي تعتمد اعتمادا رئيسا على النزوع إلى إضفاء الروح على الموجودات، هذه الروح التي افتقدها بفقدانه محبوبته، فالصورة التشخيصية عكست حالته النفسية، وأكدت مذهبه الفني في إثراء النص الشعري بالخيال للإمتاع والإثارة الناتجة من المشاهد الأسطورية التي جعلته يؤنسن الجمادات والمعنويات.

وأخيرا فإن التشخيص في قصيدة الأطلال منحها حيوية وفاعلية مغايرة للمألوف كان له تأثير قوي وفاعل في نفس المتلقي، فقد كان التشخيص أسلوبا ذكيا انتقل به إبراهيم ناجي من المستوى العادي للتعبير إلى المستوى الفني، هذا المستوى جعل المتلقي فاعلا في الوصول إلى أعماق النص وسبر أغواره، واستطاع بسهولة الكشف عن عاطفة الشاعر.

النتائج:

أولا: كشفت الدراسة ميل إبراهيم ناجي المقصود لاستخدام الصورة التشخيصية في قصيدة الأطلال، واتضح ذلك من الحضور الفاعل للتشخيص عبر أبيات القصيدة رغم طولها وكثرة مقاطعها، وذلك لإحياء الموجودات من حوله والتعبير عن مكنونات نفسية، فجاءت الصورة التشخيصية كاشفة بوضوح لتجربته الشعورية، ولحجم الألم والمعاناة التي ألمت به جرّاء فقد محبوبته.

ثانيا: أثبتت الدراسة من خلال تحليل الشواهد للصورة التشخيصية في قصيدة الأطلال الإبداع المتميز للشاعر حين استخدم مجازات اللغة للتعبير عن مشاعره وللتأثير الذهني والعاطفي في المتلقي، فقد تمكن بقدرة مائزة في صياغة الألفاظ والتراكيب، والخروج بها خارج المألوف والمعياري بهدف التعبير عن

مكنونه النفسي، والاستحواذ الذهني والعاطفي للمتلقي.

ثالثا: أوضحت الدراسة أن إبراهيم ناجي استخدم بعض الوسائل المساعدة التي منحت الصورة التشخيصية لدية قوة وتأثيرا، فقد استخد أسلوب النداء بوصفه وسيلة من وسائل استحضار المخاطب، فالنداء في ذاته أداة تمنح المنادى تشخيصا ذاتيا، كما استخدم تقنية الحوار الدرامي بوصفه وسيلة مساعدة من وسائل التشخيص. فلم يكتف فقط بالمجاز، بل استفاد من أساليب اللغة لإضفاء تشخيصا إضافيا، بهدف تأكيد الفكرة واستنساخ الأشخاص الاعتبارية ليخلق مزيدا من الحيوية على القصيدة.

وأخيرا: أظهرت الدراسة أن إبراهيم ناجي استخدم الصورة التشخيصية بكثرة بوصفها وسيلة إقناعية استطاع من خلالها البرهنة على سوء حالته النفسية، وبث هذه الحالة في نفس القارئ لاستثارة مشاعره وعواطفه.

وختاما يوصي الباحث بدراسة التشخيص والتجسيد في ديوان إبراهيم ناجي، لما تميز به إبراهيم ناجي في هذه الصور الفنية، وإبداعه فيها.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١- إبراهيم ناجي، ديوان إبراهيم ناجي، دار العودة، بيروت، لبنان،١٩٨٠م.

ثانيا: المراجع العربية:

١- إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، د.ت.

٢- حسن توفيق، مقدمة كتاب (إبراهيم ناجي، الأعمال الشعرية المختارة)، تحقيق: حسن توفيق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ط١، ٢٠٠٣م

٣- سيد حامد النساج، فى الرومانسية والواقعية، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت

٤- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في مصر، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م.

٥- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٣م.

٦- عبد الرحمن عرفان، الشعر الحديث في اليمن ظواهره الفنية وخصائصه المعنوية، جامعة بغداد، د.ط، ١٩٩٦م.

٧- على عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الشباب، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٥.

٨- محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٩- محمد زكي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤م.

١٠- محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

١١- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٢- محمد محمد عويضة، إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، الدار العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

١٣- مسلم حسب حسين، جماليات النص الأدبي دراسات في البنية والدلالة، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠٠٧م.

١٤- مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

١٥- نسيب نشماوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الابتداعية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٨م.

١٦- واصف أبو الشباب، القديم والجديد، دار النهضة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

١٧- ياسين عساف، الصورة الشعرية، وجهات نظر عربية وغربية، دار مارون عبود، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

ثالثا: المراجع المترجمة:

١- أرسطو، فن الشعر، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٥.

٢- جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.

٣- س.داي.لويس، طبيعة الصورة الشعرية، مقال مترجم ضمن كتاب، اللغة الفنية، تعريب وتقديم، محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م.

٤- فيليب فان تيغم، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ترجمة: فيليب أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م.

رابعا: المعاجم اللغوية والاصطلاحية

١- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ١٩٨٦م.

٢- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٨م.

٣- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت،ط١، ١٩٧٩م.

٤- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

Abstract

This research tries to study one of the patterns of the artistic image in the poem (Al -Atlal) by Ibrahim Naji, which is the diagnostic image, where the diagnosis represents one of the artistic phenomena in the literary text that gives it beauty, as well And focus.

The diagnostic image appeared extensively in this poem, due to being one of the romantic poets who took care of upholding passion and imagination in their poetry; Therefore, the aim of the research is to study the diagnostic image in the poem (Al -Atlal) by Ibrahim Naji (artistic study) to identify the method of its formation, and what it added to the artistic construction of the poem, and the extent of its ability to express the poet's intellectual and emotional authors, and its impact on the recipient.

One of the most important results reached by the research was that the diagnosis in the poem of the ruins revealed the ingenuity of Ibrahim Naji in drawing his images to express his feelings and the pillars of himself, as the diagnosis had an influential function in the recipient by raising his mind and violating his expectation, which contributed to his merger with the text and positively influenced it With the feelings and ideas in it. The poet resorted to linguistic methods that bound the diagnosis and the most prominent of them, including the method of calling and the style of dialogue.

Key words: Diagnosis - Al -Atala Poem - Artistic Image